الحرب الأوكرانية-الروسية من منظور النظرية الواقعية الجديدة

The Ukrainian-Russian war from a Neo-Realist Perspective

أشرف كردلاس
باحث في سلك الدكتوراه، تخصص العلوم القانونية والسياسية،
جامعة ابن زهر ، أكادير

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى إلقاء الضوء على الحرب الأوكرانية الروسية، من منظور النظرية الواقعية الجديدة، التي برزت في سياق اتسم بتنامي الصراع على النفوذ بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية في سبعينيات القرن الماضي؛ وهو الصراع الذي انتهى بدخول العالم إلى نظام القطب الواحد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية. وتعد النظرية الواقعية الجديدة من أبرز نظريات العلاقات الدولية التي تمنح للباحثين في حقل العلاقات الدولية، خلفية نظرية مهمة في فهم العوامل والأسباب التي تؤدي إلى نشوء الحروب، وتفسير نزوع الدول نحو الهيمنة وتعزيز موارد القوة، ومحاولة البقاء في نظام دولي فوضوي.
الكلمات المفاتيح: نظرية الواقعية الجديدة، القوة، النظام الدولي، الأزمة الأوكرانية.

Abstract:

This article seeks to shed light on the Ukrainian-Russian war from the perspective of neo-realist theory, which emerged in a context characterized by the growing struggle for influence between the Soviet Union and the United States of America in the 1970s; a struggle that ended with the world entering a unipolar system led by the United States of America. Neo-realist theory is one of the most prominent theories of international relations that provides researchers in the field of international relations with an important theoretical background in understanding the factors and causes that lead to the emergence of wars, explaining the tendency of states to seek hegemony, enhance power resources, and try to survive in an anarchic international system.
Key words : neo-realist theory, Power, international system, Ukrainian-crisis.

تقديم:

تبدو الأزمة الأوكرانية–الروسية مثل كرة الثلج التي تتدحرج في اتجاه التصادم المباشر بين روسيا والغرب، وتهدد بدخول العالم في حرب عالمية جديدة، قد تتجاوز الحدود الجغرافية للدولتين، وتؤثر على توازن واستقرار النظام الدولي القائم منذ الحرب الباردة. وقد كشفت هذه الأزمة عن استمرار الدول في اللجوء إلى القوة العسكرية، لتحقيق أهدافها السياسية وتبديد مخاوفها الأمنية. وهو الوضع الذي يعيد إلى السطح دور المقاربة الواقعية في فهم منطق القوة السائد في النظام الدولي، وأزمة المنظور الليبرالي، الذي يؤمن بدور المؤسسات الدولية والقانون الدولي في الحد من الحروب والنزاعات الدولية.

وتُشكِّل نظريات العلاقات الدولية أدوات ملاءمة لفهم وتفسير الأحداث الدولية، وكشف الأسباب التي تؤدي إلى اندلاع الحروب أو استمرار السلم والأمن الدوليين. وهي نظريات تسعى، بشكل عام، إلى وضع فرضيات واستخلاص نتائج مترابطة، تساعد على تفسير الأحداث الدولية، وتقديم تنبؤات عامة حول الاتجاهات المستقبلية للعلاقات الدولية[596].

وتعتبر الواقعية الجديدة خلفية نظرية ملاءمة لفهم الأزمة الأوكرانية–الروسية؛ لأنها نظرية، نشأت من جهة، في سياق الصراع بين الاتحاد السوفياتي والغرب في سبعينيات القرن الماضي[597]، وهو ما يساعد على فهم الصراع المعاصر الدائر في أوكرانيا، الذي له جذور تاريخية، كما سنبين. ومن جهة ثانية، فالنظرية الواقعية الجديدة، تظهر كعدسة ملاءمة لدراسة الأزمة؛ بسبب طبيعة النزاع الأوكراني–الروسي، الذي أخذ بعدًا جيو–سياسيًا عالميًا بين الغرب من جهة، وروسيا من جهة أخرى، وهو ما ينسجم مع أسس النظرية الواقعية الجديدة التي تفسر الأحداث من زاوية بنيوية، تنظر إلى الدول كوحدات متفاعلة، تؤثر وتتأثر ببنية النظام الدولي الفوضوية؛ هذه البنية التي تدفع الدول إلى التصرف أو عدم التصرف بطريقة معينة.

596 PAUL R. VIOTTI, MARK V. KAUPPI, International Relations and World Politics, Fifth Edition, (USA : Pearson Education, 2013), p. 26.
597 Siegfried Schieder and Manuela Spindler, Theories of International Relations, (London : Routledge Taylor & Francis Group, 2014), p 37.

وتجدر الإشارة، إلى أن استخدامنا لهذه النظرية كأداة لفحص الأزمة الأوكرانية–الروسية، لا يعني، عدم الانفتاح على حقول معرفية أخرى تساعد في فهم الأسباب والدوافع التي أدّت إلى اندلاع هذه الأزمة الدولية، التي تتطور وتتفلت من التحكم كلما ارتفعت تكلفتها الاقتصادية والبشرية، رغم محاولات الرئيس دونالد ترامب، معالجة هذه الأزمة بالطرق الديبلوماسية، للحد من الكلفة الاقتصادية للحرب والتركيز على مخاطر الصعود الصيني، وتنفيذ التوجهات الاستراتيجية للإدارة الأمريكية في الشرق الأوسط.

وقبل تسليط الضوء على محددات **الأزمة الأوكرانية–الروسية** من زاوية النظرية **الواقعية الجديدة**، سنرصد في البداية بعض الجذور التاريخية للنظرية الواقعية الجديدة، ونتحدث عن أبرز الأفكار والفرضيات التي ساهمت في نشأة هذه النظرية، بالإضافة إلى أهم الأسس والمرتكزات التي تقوم عليها هذه النظرية.

المطلب الأول: النظرية الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية: الجذور والمرتكزات

تعتبر النظرية الواقعية الجديدة من أهم نظريات العلاقات الدولية المعاصرة، التي تطورت في فترة السبعينيات من القرن الماضي، ولا يزال بعض المنظرين البارزين، **كجون ميرشايمر**، يستخدمونها كخلفية نظرية مهمة لتفسير الظواهر الدولية، ولاسيما الأزمة الأوكرانية–الروسية الحالية، التي أخذت بعدًا جيو–سياسيًا عالميًا. وقبل الوقوف على تجليات هذه الأزمة، التي سنفسرها من هذه العدسة النظرية، سنتحدث في البداية، عن جذور النظرية الواقعية الجديدة، وأبرز الأسس والمرتكزات التي تنطلق منها في تفسير العلاقات الدولية والأزمات التي تحدث في البيئة الدولية.

الفقرة الأولى: جذور النظرية الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية

تستمد النظرية الواقعية الجديدة، جذورها الفكرية والفلسفية من **النظرية الواقعية التقليدية**؛ التي نشأت وتطورت بتأثير من الإرث اليوناني الذي خلفُه **ثيوسيديوس** في كتابه الشهير "**حرب البيلوبونيس**"، الذي وصف فيه بعض جوانب البطولات والوحشية في الحروب،

وأوضح كيف تؤثر السلطة والطموح والدوافع الشخصية، في تشكيل مجرى الأحداث؛ وكيف يمكن أن يطغى على الذكاء والحكمة، الغرور أو الحماقة والخداع[598].

وفي السياق الحديث، تم اعتبار كتاب الأمير **لنيكولا ميكيافيلي**، من طليعة البحوث التي ساهمت في تطور النظرية الواقعية، حيث قام في كتابه بتحليل القوة والنظام الحكومي بأسلوب معاصر، وحثَّ على جعل القيم السياسية تعلو على أيّ قيم أخرى في عملية صناعة القرار السياسي داخليًا وخارجياً، وكشف للأمير بعض أسس السياسة الخارجية الواقعية؛ ورأى بأن **وجود الدولة يعتمد على امتلاكها للقوة**، لأنها المصدر الأساسي للمحافظة على وجودها وتوسُّعها.

وقد أثرت كتابات **توماس هوبز**، وتصوره لحالة الطبيعة، التي اعتبرها حرب الجميع ضد الجميع، على منظري الفكر الواقعي في العلاقات الدولية، الذين استخدموا هذه الفرضية لتفسير الحروب والنزاعات التي تحدث بين الدول. وتم اعتبار كتابه "**الليفياتان**"، مرجعاً أساسيًا في فهم نزعة الفوضى القائمة في النظام الدولي، وفهم علاقات القوة بين وحداته[599].

وبعد تجربة الحربين العالميتين الأولى والثانية، ظهرت النظرية الواقعية الكلاسيكية كأداة مهيمنة على تفسير العلاقات الدولية. وتم اعتبار **هانس مورغنتاو**، **من** أبرز الباحثين الذين طوروا هذه النظرية، حيث ركز في تحليله للعلاقات الدولية على السياسة الدولية[600]، باعتبارها

---

[598] Paul R. Viotti & Mark V. Kauppi, International Relations Theory Realism, Pluralism, Globalism, and Beyond, A Viacom Company, , (USA, Library of Congress, 1999), p 57.

[599] حمزة المصطفى، هل العلاقات الدولية علم قائم بذاته؟ دراسة مقارنة في أطروجات الفصل/ الارتباط بين العلاقات الدولية وعلم السياسة، سياسات عربية، العدد 25 (مارس 2017)، ص 97.

[600] يعتبر محمد بن نويمي بأن السياسة الدولية هي إحدى مظاهر العلاقات الدولية، فهي تتألف من مفردتين، (السياسة)، و(الدولية)، وكلاهما يشكلان معًا حركة تفاعلية دائمة بين الأطراف الفاعلة، ويساهمان في نهاية الأمر في بناء إطار النظام الدولي واستدامته لفترة معينة تحددها القوى الفاعلة، لذلك يتم تعريف السياسة الدولية باعتبارها: (مجموعة من التفاعلات والنشاطات التي تحدث وتدار بين الوحدات الدولية الفاعلة والمؤثرة في إطار النظام الدولي). 12. أنظر دراسة (محمد بن نويمي، علم العلاقات الدولية، ط2، إدارة الإصدارات والترجمة، قطر، 2024 ص 12)

صراعًا مستمراً بين الدول، يهدف إلى الحصول على القوة أو المحافظة عليها[601]. وأوضح مورغنتاو بأن السلم والأمن يمكن تحقيقهما في الواقع الدولي عبر المحافظة على توازن القوى في الساحة الدولية[602].

وقد فقدت النظرية الواقعية الكلاسيكية، في سبعينيات القرن الماضي، قوتها التفسيرية عندما دخلت القوى الكبرى في مرحلة التقارب الديبلوماسي بعد عقود من الحرب الباردة[603]؛ حيث برز في هذه الفترة بعض المنظرين الجدد الذين انتقدوا أطروحات الواقعية التقليدية، ولاسيما أطروحة مورغنتاو، بسبب منهجيتها السلوكية؛ التي تمحورت حول سلوك الدول، وبالغت في تفسيرها للمصلحة، ومفهوم القوة[604].

وفي مقابل النظرة الواقعية التقليدية، التي حاولت تفسير الحروب، انثروبولوجيًا، من خلال العودة **للطبيعة البشرية**، عارض منظرو الواقعية الجديدة، وخاصة **كينيث والتز**، مؤسس هذه النظرية، التفسيرات التقليدية للعلاقات الدولية؛ مُعتبرًا بأن الطبيعة البشرية، وإن كانت من العوامل المؤثرة في نشوب الحروب، فلا يمكن الاعتماد عليها وحدها لتفسير حالات الحرب والسلم[605]. وقد كان **والتز**، يأمل من وراء نظريته، إلى تطوير نظرية نظمية للسياسات الدولية، مختلفة عن الواقعية التقليدية، تنقل التركيز التحليلي والتفسيري إلى مستوى **النظام الدولي**، وتُفسر سلوك الدول من طبيعة هذا النظام الفوضوية، ولذلك، عادة ما يتم الإشارة للنظرية

601 Hans J. Morgenthau, Politics among Nations, The struggle for power and peace, (New York: Alfred, A, Knopf, 1948.), p. 15.
602 Ibid., p 8.
603 Siegfried Schieder and Manuela Spindler, Theories of International Relations, Op.cite., p. 38.
604جهاد عودة، النظام الدولي... نظريات وإشكاليات، ط1، (مصر: دار الهدى للنشر والتوزيع، 2005)، ص 43، 44.
605 Siegfried Schieder and Manuela Spindler, Theories of International Relations, Op.cit., p 37.

الواقعية الجديدة بالواقعية البنيوية[606]، لأنها تدرس العلاقات الدولية من خلال بنية النظام الدولي، وطبيعة العلاقات بين القوى المهيمنة على النظام الدولي.

ومن نافلة القول، أن الاختلاف بين **المُنظرين الواقعيين التقليديين والجدد**، يتوضح من خلال إجابة كل منهما عن سؤال: "لماذا تلجأ الدول إلى القوة؟"؛ فبالنسبة للواقعيين الكلاسيكيين، أمثال مورغنثاو، فالجواب يتجلى في **الطبيعة البشرية**، مقابل الواقعيين الجدد، الذين يتصورون بأنّ الطبيعة البشرية لها علاقة ضئيلة في اللجوء للقوة، ويعتبرون بأن بنية النظام الدولي (تصميمه البنائي) هي التي تُجبر الدول على السعي وراء الحصول على القوة في نظام تغيب فيه السلطة المركزية[607].

لذا، يؤكد منظرو الواقعية الجديدة، (ولاسيما كينيث والتز، وجون ميرشايمر، وكريستوفر لاين،) على التوزيع العام للقوة بين الدول ويشككون بشدة في قدرة المعايير الدولية والمؤسسات الدولية على التخفيف من التنافس الدولي[608]. وهي المعايير التي يدافع عنها أنصار التيار الليبرالي في العلاقات الدولية، والتي فشلت في منع الحروب ودفع الدول إلى احترام القوانين الدولية.

وارتبط **سياق ظهور الواقعية الجديدة** باهتمامين أساسيين، ارتبط الاهتمام الأول، بسعي الباحثين، من جهة، إلى تفسير الأسباب التي أدّت إلى استقرار العالم الثنائي القطب، رغم امتلاك القطبين المتصارعين لوسائل الدمار الشامل. وارتبط الاهتمام الثاني، بالبحث عن نظرية عامة في العلاقات الدولية يمكن أن تفسر بشكل منهجي، لحظات الحرب والسلم في السياسة الدولية[609].

---

606 Ibid., p. 37.

607أحمد قاسم حسين، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع. ط1، ترجمة ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 20 (ماي، 2016)، ص 27.

608 Paul R. Viotti & Mark V. Kauppi, International Relations Theory Realism, Pluralism, Globalism, and Beyond, A Viacom Company, Op.cite., p. 57.

609 Siegfried Schieder & Manuela Spindler, Theories of International Relations, Op.cit., p. 38.

ومن نافلة القول، بأن منظرو الواقعية الجديدة لم يُحدثوا قطيعة معرفية مع كل الأسس الفكرية والفلسفية للنظرية الواقعية التقليدية؛ بل قاموا بتطوير المقاربة الواقعية في العلاقات الدولية لتنسجم مع تطور وتعقد العلاقات الدولية، والحاجة المعرفية إلى تقديم تفسيرات جديدة لسياق الحرب الباردة وما بعد هذه الفترة؛ التي تميزت بتحول النظام الدولي، من نظام ثنائي القطبية، إلى نظام أحادي القطبية؛ اتسم بهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي.

ويمكن أن نستنتج من ذلك بأن تطور الأحداث الدولية، عادة ما يدفع الباحثين في العلاقات الدولية إلى البحث عن خلفيات نظرية أخرى، أو تطوير النظريات السابقة، لفهم الظواهر الدولية التي تتسم بالتطور والتعقيد. ولذا، فنظريات العلاقات الدولية، لا تكون بالضرورة مثالية، منفصلة عن الواقع الدولي ومجريات الأحداث الدولية، بل تنطلق في العادة من هذا الواقع وتحاول تفسيره وفهم أبعاده المختلفة بشكل تراكمي.

وبعد كشف جذور وسياق بروز النظرية الواقعية الجديدة، ورصد حدود اختلافها مع النظرية الواقعية التقليدية، سننتقل في الفقرة المقبلة، إلى رصد أسس ومرتكزات النظرية الواقعية الجديدة، قبل محاولة إلقاء الضوء على الحرب الأوكرانية–الروسية من عدسة النظرية الواقعية الجديدة في المطلب الأخير.

الفقرة الثانية: أسس ومرتكزات النظرية الواقعية الجديدة

تتأسس النظرية الواقعية الجديدة على العديد من المرتكزات التي صاغها بعض الباحثين البارزين في العلاقات الدولية، لاسيما **كينيث وولتز وجون ميرشايمر وستيفن وولت**، الذين يشتركون، في تفسير الأحداث والظواهر الدولية من زاوية واقعية لا مثالية. ويبحثون في الطرق والأساليب التي تتفاعل بها الدول في بيئة فوضوية. وترتكز الواقعية الجديدة على العديد من الأسس والافتراضات **(النظام الفوضوي، بنية النظام الدولي، القوة، المعضلة الأمنية، توازن القوى..)**، التي سنشير لها في هذه الفقرة.

أولا: بنية النظام الدولي وتأثيرها على تصرفات الدول

هيمنت نظرية الواقعية الجديدة في العقدين الأخيرين على حقل العلاقات الدولية، وهي نظرية تهتم أساسًا بالتفاعل الاستراتيجي للعديد من الوحدات (وخاصة الدول) في نظام مرتب بشكل فوضوي[610]، وتهتم ببلورة فرضيات تُفسر وتشرح العلاقات البنيوية أو الارتباط السببي بين الوسائل والأهداف التي تؤدي إلى نشوء الهيمنة أو اندثارها.

ويلجأ أصحاب الواقعية الجديدة إلى استخدام كل من المنهج الاستنتاجي والمنهج الاستنباطي في أبحاثهم. فعلى سبيل المثال، انطلق **كينيث والتز**، في كتابه نظرية العلاقات الدولية من إطار نظري سوسيولوجي، هو **النظام الدولي وسماته البنيوية**، ليشرح ويفسر سلوكيات الدول. في حين لجأ غيلبن في كتاب ((الحرب والتغيير في السياسة العالمية)) إلى منهج استقرائي، إذ انطلق من نظرية الاختيار العقلاني ليحلل موقف الدول انفراديا، بهدف تحديد السمات والتغييرات في النظام الدولي[611].

ومن أهم مرتكزات النظرية الواقعية الجديدة، تفسير الظواهر الدولية من خلال رصد التأثير الذي تُحدثه بنية النظام الدولي على سلوك الدول المكونة لهذا النظام. وتشير **البنية** حسب كينيث وولتز ، إلى "**مجموعة من الظروف التقييدية**" التي تُنتج بشكل غير مباشر نطاقًا محدوداً من النتائج. ومن ثم، تعمل كقيود على الوحدات المكونة للنظام الدولي، وتدفع الدول إلى التصرف بطريقة معينة دون أخرى؛ وتصبح الدول التي تفشل في الانتباه لهذه القيود أقل قدرة على التنافس. وإذا استمرت في هذا الفشل، يتم استبعادها من النظام الدولي في آخر المطاف"[612].

---

[610] Andrew K. Hanami, Perspectives on Structural Realism, (USA : palgrave macmillan, 2003), p. 9.

[611] [611]ناصيف يوسف حتى، النظرية في العلاقات الدولية، ط1، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1985)، ص 64.

[612] Keith Topper, "The Theory of International Politics? An Analysis of Neorealist Theory", Human Studies, Vol. 21, No. 2 (Apr., 1998), pp. 157-186 (p 160)

ويضيف كينيث وولتز، بأن بنية السياسات الدولية تحد من التعاون بين الدول، من مدخلين أساسيين. حيث تشعر الدول، من جهة، بالقلق من توزيع المكاسب المحتملة، التي يمكن أن تخدم الدول الأخرى أكثر منها. ومن جهة ثانية، تشعر الدول بالقلق من إمكانية أن يؤدي تعاونها مع الآخرين، إلى اعتمادها عليهم بشكل يهدد استقرارها وأمنها[613].

ويتحدث **جون ميرشايمر** على ثلاث سمات في النظام الدولي، تؤدي إلى جعل الدول تخشى من بعضها البعض:

أ: غياب سلطة مركزية فوق الدولة تستطيع أن تحمي الدول من بعضها البعض.

ب: حقيقة أن الدول دائما ما تمتلك بعض القدرات العسكرية الهجومية.

ت: أن الدول لا يمكنها أبدًا أن تكون متأكدة من نوايا الدول الأخرى.

وتتمثل أهم الأفكار التي جاء بها الواقعيون الجديد، في إقرارهم بأن الفوضى الدولية، وما ترتبط به الطبيعة البنيوية من قواعد عمل (التي تعد بمثابة قيد على سلوك الدول)، تفرضان على الفاعلين الدوليين ثلاثة أهداف أساسية، وهي:

أ. تحقيق هدف البقاء: وهو الهدف الرئيسي الذي يسبق كل أهداف الدولة في المجال الدولي رغم تعددها.

ب. الاعتماد على الذات: وهو ضرورة لكل الدول حتى تستمر وتحافظ على بقاءها في الساحة الدولية، وتتمكن من الحصول على مكانة أو موقعًا دوليًا يُأمنها من بطش غيرها من الدول.

ج. انتهاج سياسة الموازنة: وقد تكون داخلية أو خارجية[614]؛ وهي استراتيجية تُستخدم من قبل الدول للتعامل مع التهديدات التي تشكلها القوى الأخرى في النظام الدولي.

ويوجد توافق نسبي بين رواد النظرية الواقعية الجديدة، حول نوع النظام الأكثر ضمانًا لاستقرار النظام ا لدولي، فإذا كان مورغنتاو في الواقعية الكلاسيكية يفضل نمط النظام متعدد

---

[613] Kenneth N. Waltz, Theory of International Politics, (USA : Publising Company, 1079), p. 106.

[614] عادل عنتر، مداخل دراسة وتحليل بنية النسق الدولي: دراسة تحليلية تقويمية، (الإسكندرية، 2018)، ص 198.

الأقطاب Multipolar Systems باعتباره الأكثر ضمانة لاستقرار النظام الدولي، فإن **كينيث وولتز** يعتقد بأن الدول أكثر عرضة لارتكاب الأخطاء، والوقوع في سوء التقدير، في الأنظمة متعددة الأقطاب، ويعتقد بأن القوى العظمى في الأنظمة الثنائية القطبية Bipolar Systems تكون أفضل قدرة على التحكم في حلفائها ومن ثم، تتجنب الانجرار إلى حرب غير ضرورية[615].

ويتفق **جون ميرشايمر**، مُنظر الواقعية الجديدة الهجومية، مع منظور وولتز، وينتقد النظام المتعدد الأقطاب؛ وخاصة النظام الذي يتشكّل من مجموعة من الدول القوية التي تسعى إلى الهيمنة، ويعتبره نظامًا أكثر عرضة للحروب مقارنة بالنظام ثنائي القطبية[616]؛ حيث يعزز النظام الثنائي القطبية الاستقرار بين الدول، وتكون كل قوة مدفوعة للحفاظ على توازن القوى مع خصمها الوحيد، بدلًا من التعامل مع عدة خصوم في الأنظمة متعددة الأقطاب.

وتجدر الإشارة، إلى أن القطبية مرّت بثلاث مراحل أساسية، اتسمت في المرحلة الأولى، بنظام متعدد القطبية بدأ من معاهدة ويستفاليا 1648م، (بريطانيا، النمسا، روسيا..)، واتسمت في المرحلة الثانية، بنظام ثنائي القطبية، وبدأت بعد الحرب العالمية الثانية، (وضمت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي)، بينما تشكل نظام أحادي القطبية مع نهاية الحرب الباردة 1989م، إلى يومنا الحالي، واتسم بهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية. ومع ذلك، فهناك من يختلف في مسألة (أحادي القطبية)، وهيمنة الولايات المتحدة لوحدها على النظام الدولي، معللًا ذلك بأننا اليوم أمام نظام (متعدد القطبية) بدأ يتشكّل أخيرًا في بنية النظام الدولي، فلم يعد النظام الدولي الجديد مستندًا على قوة تقليدية واحدة، وعلى الولايات المتحدة أن تتكيف معه

615 Stephen M Walt, "US grand strategy after the Cold War: Can realism explain it? Should realism guide it?," Sage International Relation Publishing, , USA, Vol. 23 (1), 2018, p 4

616 John J. Mearsheimer, The Tragedy of Gret Power Politics, Op.cite,. p. 4.

وأن تتعامل وفقًا لذلك[617]. ومن المعلوم، أن الولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم من اعتبارها الدولة الأكثر قوة في النظام الدولي الحالي، فهي تعتمد في تدخلاتها الخارجية (الحروب، العقوبات الاقتصادية) على شركائها في حلف الأطلسي وفي مجموعة السبع. واستمرار هيمنتها قائم على الاستثمار في الموارد العلائقية مع الحلفاء، وقد لاحظنا بأن التدخل العسكري في العراق واليمن في الآونة الأخيرة، تم بمشاركة بريطانيا وبعض البلدان الأوروبية.

ثانيا: نزعة القوة للبقاء في النظام الدولي الفوضوي

يُعتبر مفهوم **القوة** من المفاهيم المركزية في النظرية الواقعية الجديدة. وعادة ما يتم تفسير القوة من زاوية النظرية الواقعية الجديدة، باعتبارها: علاقة، وذات طابع ذاتي، وملموس. وتشير القوة إلى تلك القدرة المتاحة لإخضاع الغير، مهما كانت الوسيلة المستخدمة. أي أنّ القوة تقوم بدور الحكم الطبيعي في التنافس بين الدول[618].

ويُنظر إلى القوة العسكرية بكونها الشكل الأكثر تجسيدًا للقوة. وعلى نهج توماس هوبز، يقول **كينيث وولز** بأن حالة الطبيعة، هي حالة حرب بين الدول. لأن بعض الدول يمكن أن تستخدم العنف في أي لحظة، وكل الدول ينبغي أن تستعد للقيام بذلك، أو تعيش تحت رحمة جيرانها الأكثر قوة من الناحية العسكرية. فبامتلاك الدولة لإمكانية استخدام أو عدم استخدام القوة، يمكن للحرب أن تندلع في أي وقت. وفي ظل غياب طرف قادر على إدارة أو حل النزاعات بين الأطراف المتنازعة، لا يمكن توقع تجنب استخدام القوة من الناحية الواقعية. إن الفوضى أو غياب الحكومة، سواء بين البشر أو الدول، تؤدي وفقًا لكينيث وولتز إلى ظهور العنف والصراع[619].

---

[617]محمد بن نويمي، علم العلاقات الدولية، ط2، (قطر، إدارة الإصدارات والترجمة، قطر، 2024)، ص 21.

[618]أحمد قاسم أمين، لم نعد وحدنا في العالم: "النظام الدولي من منظور مغاير، مجلة سياسات عربية، العدد 24، (مارس 2017)، ص 131.

[619] Kenneth N. Waltz, Theory of International Politics, Op.cite., p. 103.

وفي ظل **فوضوية النظام الدولي**، لا يوجد توافق وانسجام تلقائي بين الدول؛ بحيث يمكن لكل دولة أن تستخدم القوة لتحقيق أهدافها، بعد تقييمها لآفاق النجاح، وإذا كانت تعطي قيمة لأهدافها أكثر من تقديرها للسلام. فكل دولة في هذا النظام الفوضوي هي القاضي الأخير لقضيتها، **ويمكن لأي دولة أن تستخدم القوة لتنفيذ سياساتها**؛ ولأن أي دولة يمكن أن تستخدم القوة في أي وقت، فكل الدول، من هذا المنظور، ينبغي أن تكون دائماً مستعدة لمواجهة الاعتداء بالقوة، أو دفع ثمن الضعف[620].

وحسب **جون ميرشايمر**، فبنية النظام الدولي تُجبر الدول التي تسعى لتكون آمنة على التصرف بعدوانية تجاه بعضها البعض[621]؛ فبالنظر إلى تخوف وقلق الدول، والذي لا يمكن تجنبه كليًا، تُدرك الدول بأنها كلما كانت أكثر قوة مقارنة مع منافسيها، كلما حصلت على فرص أفضل للبقاء. إن أفضل وسيلة لضمان للبقاء في الواقع الدولي، وفقًا لميرشايمر، هي أن تكون **في موقع مهيمن**. فلا توجد دولة أخرى تستطيع أن تشكل تهديداً لمثل هذه الدولة المهيمنة والقوية. ويصف ميرشايمر هذه الوضعية بالتراجيدية[622]؛ ويرى في كتابه "الدراما الكبرى للسياسة الدولية" (2001) أن الدول الكبرى تسعى دائمًا لتحقيق الهيمنة على النظام الدولي لضمان أمنها، وأن هذا الطموح هو محرك رئيسي للصراعات الدولية.

إن الهيمنة المطلقة للمصالح الأمنية للدول، في النظرية الواقعية الجديدة، تقود الدول إلى التركيز على الاعتماد على الذات ورفض التعاون مع الآخرين، لاسيما في ظل غياب سلطة فوق الدول (حكومة عالمية) تستطيع تطبيق وفرض القواعد والمعايير الدولية[623].

ونتيجة لذلك، فلا يمكن للدول أن تشعر بالأمان إلا إذا أصبحت هي القوة المسيطرة في النظام الدولي. إن هذا السعي الدؤوب إلى الحصول على القوة يعني أن القوى العظمى تميل

620 Kenneth N. Waltz, Man, The State and War, A theoretical Analysis, (New York, Columbia University Press, , 1883), p. 160.
621 John J. Mearsheimer, The Tragedy of Gret Power Politics, Op.cite., p 3
622 Ibid., p. 3.
623 Siegfried Schieder & Manuela Spindler, Theories of International Relations, Op.cite., p. 37.

إلى البحث عن فرص لتغيير توزيع القوة العالمية لصالحها، وغالبا ما تستغل الفرص إذا توفرت على القدرة اللازمة. ومن ثم، فالقوى العظمى وفق هذه العدسة النظرية مستعدة دائما للهجوم[624].

وتعتبر **المعضلة الأمنية** Security Dilemma، من المفاهيم المركزية في النظرية الواقعية الجديدة، وهي وضعية تفسر مخاوف الدول من تعزيز أمن بعضها البعض، وتأثير هذه المخاوف في زيادة التسلح وتعزيز التحالفات العسكرية. "وتظهر المعضلة الأمنية عندما تبدأ إحدى الدول بتدعيم قدراتها العسكرية، مما يؤدي إلى شعور الدول الأخرى بالتهديد وانخفاض درجة أمنها؛ فعندما تتجه دولة ما إلى تدعيم قدراتها الدفاعية، لا تنظر لها الدول الأخرى بالضرورة بهذه الطريقة، وقد تؤدي إلى توجهها نحو زيادة تدعيم قدراتها العسكرية الذاتية لمواجهة التهديد المحتمل. ومن منظور الواقعية الجديدة، فعلى الرغم من إمكانية حل المعضلة الأمنية، فلا يوجد حل أبدي بسبب ما تمليه الضرورات البنيوية للنظام الدولي الفوضوي. **فالسلام من المنظور الواقعي ظاهرة مؤقتة**[625].

ويوجد اختلاف في النظر إلى المعضلة الأمنية، بين كل من **ميرشايمر** منظر الواقعية الجديدة الهجومية، **وستيفن وولت** الذي يدافع عن منظور دفاعي في النظرية الواقعية. حيث تعد افتراضات **الواقعية الهجومية** لميرشايمر متشائمة بخصوص الآثار المترتبة على الفوضى في بنية النظام الدولي، وترى أن المعضلة الأمنية تتطلب من كلّ دولة أن تسعى إلى تحقيق أقصى قدرٍ من القوة الخاصة بها، وألا يقتصر هذا السعي على تعظيم أمنها فقط بل يتعداه لتحقيق الهيمنة والسيطرة على الدول الأخرى. مقابل **الواقعية الدفاعية** التي برزت مع ستيفن وولت، وزعمت بأن استراتيجيات الدفاع أكثر جاذبية للدول من استراتيجيات الهجوم التي تكون مكلفة[626].

---

[624] John J. Mearsheimer, The Tragedy of Gret Power Politics, Op.cite., p. 3.

[625] استيفانى لوسن، العلاقات الدولية، ترجمة عبد الحكم احمد الخزامى، ترجمة عبد الحكم احمد الخزامى، (مصر: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2014)، ص: 126.

[626] أحمد قاسم حسين، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع. مرجع سابق، ص 27.

وبعد هذا المرور على أبرز مرتكزات النظرية الواقعية الجديدة، سننتقل في المطلب المقبل إلى إلقاء الضوء على الأزمة الأوكرانية–الروسية من زاوية النظرية الواقعية الجديدة، ورصد بعض التفسيرات التي قدمها الواقعيون الجدد لهذه الأزمة.

المطلب الثاني: الأزمة الأوكرانية–الروسية من عدسة الواقعية الهجومية

من الناحية المعرفية، تُشكل النظرية الواقعية الجديدة، عدسة ملاءمة لفهم الأزمة الأوكرانية–الروسية، التي تلقي الضوء على العلاقات الدولية، من زاوية بنيوية، وتنظر إلى الدول كوحدات متفاعلة تؤثر وتتأثر ببنية النظام الدولي الفوضوية، والتي تدفع الدول إلى التصرف أو عدم التصرف بطريقة محددة. وسنبدأ هذا المطلب برصد بعض الجذور التاريخية للأزمة الأوكرانية–الروسية، لننتقل إلى كشف تأثير النزوع نحو القوة، وطبيعة البنية الفوضوية للنظام الدولي في ظهور الأزمة وتطورها واستمرارها.

الفقرة الأولى: جذور الأزمة الأوكرانية–الروسية

إن البحث عن أسباب ومحددات الأزمة الأوكرانية–الروسية، يحتاج إلى رصد بعض الأحداث التاريخية، وفهم جذور الأزمة الراهنة التي لها محددات تاريخية، كما لها أهداف استراتيجية تمتد إلى الحاضر والمستقبل؛ ففصل الماضي عن الحاضر لا يمنحنا صورة كاملة عن أسباب الصراع وامتداداته التاريخية، وكما يقول **ثيوسوديوس**، "**فالماضي هو دليل المستقبل**"[627]. ويعني بذلك أن دراسة الحروب والصراعات التي حدثت في الماضي، يمكن أن توفر لنا دروسًا مفيدة لفهم الكيفية التي يمكن أن تتكرر بها الأحداث في المستقبل.

ونتيجة لذلك، ستتولّى هذه الفقرة إلقاء الضوء على بعض الجذور التاريخية للأزمة الأوكرانية المعاصرة، من خلال كشف بداية تشكلها، في مرحلة الانتخابات الرئاسية في أوكرانيا، إلى ضم جزيرة القرم ودعم روسيا للموالين لها في شرق أوكرانيا.

أولا: دور الغرب في الانتخابات الأوكرانية لسنة 2004.

[627] Paul R. Viotti & Mark V. Kauppi, International Relations Theory Realism, Pluralism, Globalism, and Beyond, Op.cite., p. 57.

شكّل التنافس السياسي في الانتخابات الرئاسية الأوكرانية لسنة 2004، بين **فيكتور بانوكوفيتش** الموالي لروسيا، و**فيكتور يوشينكو** المقرب من الغرب، لحظة فارقة في تاريخ أوكرانيا المعاصر؛ فقد اندلعت في هذه الفترة ثورة عارمة، سميت **بالثورة البرتقالية**، ساهمت في وصول **فيكتور يوشينكو** المقرب من الغرب إلى السلطة وفوزه في الانتخابات الرئاسية.

وأدركت روسيا في هذا السياق، أن كابوسها ومعضلتها الجيوسياسية المتمثلة في خسارة أوكرانيا لصالح الغرب بدأت تتحقق في الواقع؛ إذ، دعم الغرب المرشح يوشينكو، وساهمت الولايات المتحدة في دعم الثورة التي حدثت ضد المرشح الموالي لروسيا، حيث تحدثت Victoria Nuland مساعدة وزير الخارجية الأمريكي للشؤون الأوروبية والأوراسية في ديسمبر 2013 على أن الولايات المتحدة استثمرت لوحدها، منذ سنة 1991، أكثر من 5 مليار دولار في أنشطة "تعزيز الديمقراطية" في أوكرانيا، وهو ما ساهم في بروز الثورة البرتقالية التي كانت وفقًا **لجون ميرشايمر**، مؤسس النظرية الواقعية الهجومية، بمثابة **انقلاب فعلي** على الرئيس المنتخب ديمقراطياً بوسائل غير قانونية[628].

وفي عهد الرئيس الأوكراني يوشينكو اصطدمت حكومة بوتين صراحةً بأوكرانيا، باذلةً أقصى ما في وسعها، لدعم منافس الرئيس يوشينكو في الانتخابات الأوكرانية، وحاولت التأثير في مبيعات الغاز مُحدثة أزمة في الطاقة، ليس في أوكرانيا فحسب، ولكن وفي أوروبا بشكل عام[629].

وتجدر الإشارة، إلى أن استقلالية وتعزيز الديمقراطية في أوكرانيا لا يتوافق مع المفهوم الروسي للأمن القومي، وهو المفهوم الذي لم يتغير بشكل جوهري منذ سنة 1991. فروسيا حسب Paul D'Anieri **تشعر بالتهديد** من سعي الديمقراطيات الجديدة إلى الانضمام إلى

[628] Peng Chengyi, "Why the Ukraine Crisis Is the West's Fault: A Historical and Philosophical Perspective", International Critical Thought, (2017) p, 269.

[629] بول ويلكسين، مقدمة قصيرة جدًا في العلاقات الدولية، ترجمة لبنى عماد تركي ط1، (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013) ص 31.

الناتو والاتحاد الأوروبي. وتعطي روسيا لأوكرانيا مكانة جوهرية في تصورها لأمنها القومي أكثر من الدول الأخرى[630].

وفي انسجام مع المخاوف الروسية، شكّل فوز يوشينكو بداية تقارب أوكرانيا مع الاتحاد الأوروبي، وطالب **فيكتور يوشينكو**، بعد فوزه في الانتخابات، بضم أوكرانيا إلى حلف الأطلسي، وهو ما يعني من الناحية الجيوسياسية، وفي تمثلات القيادة الروسية، وصول الناتو إلى شبه جزيرة القرم وإلى أراضٍ أوكرانية أخرى ذات أهمية استراتيجية[631]. ونخلص من ذلك، بأن روسيا، كغيرها من الدول العظمى، لا يمكن أن تقبل بهذا الوضع الأمني، الذي في نظرها سيؤدي إلى تعزيز القوة والهيمنة الغربية على العالم.

وبعد هذه التطورات وتصاعد التأثير الغربي على توجهات أوكرانيا والمحاولات المتكررة لضمها إلى حلف الأطلسي، لجأت روسيا إلى استخدام القوة لضم جزيرة القرم وتوقيع انضمام الجزيرة للاتحاد الروسي، في خطوة تصعيدية أدخلت الصراع إلى مرحلة جديدة.

ثانيًا: ضم القرم والتدخل العسكري في أوكرانيا

شكّل ضم روسيا لجزيرة القرم في مارس 2014، لحظة متوترة، وغير متوقعة في الصراع الأوكراني–الروسي، وكان بمثابة نقطة تحول أساسية في التاريخ الأوروبي الحديث. وتم النظر لهذا الحدث من المنظور الغربي، باعتباره انتهاكًا روسيًا للقانون الدولي واعتداءً على سيادة أوكرانيا، مقابل المنظور الروسي، الذي نظر إلى الخطوة باعتبارها مرحلة من مراحل إصلاح الظلم واللاعدالة التاريخية[632].

630 Paul D'Anieri, Ukraine and Russia, From Civilized Divorce to Uncivil War, (United Kingdom, Cambridge Unversity Press, 2019,). p. 3.

631 Maximilian Klotz, "Russia and the Ukrainian Crisis: A Multiperspective Analysis of Russian Behaviour, by Taking into Account NATO's and the EU's Enlargement," Croatian International Relations Review - CIRR XXIII (80) 2017, 259-287.

632 Janne Haaland Matlary & Tormod Heier, Ukraine and beyond Russia's Strategic Security Challenge to Europe, (Norway: Palgrave Macmillan, 2016), p. 209.

لقد قاد ضم روسيا لجزيرة القرم، إلى صراع مسلح بينها وبين أوكرانيا، ولكنه أخذ روسيا والغرب ككل إلى حرب باردة جديدة[633]. وقد اعتبرت القيادة الروسية، بعد الاستفتاء الذي أجرته في الجزيرة، بأن اتحاد القرم مع روسيا، يتطابق مع إرادة ساكنة القرم، مقابل القطب الغربي الذي رأى في التدخل الروسي تصرفًا عدوانيًا وعنيفًا ينتهك السيادة الأوكرانية[634].

وبعد ضم روسيا لجزيرة القرم، وتوقيع بوتين لانضمام الجزيرة للاتحاد الروسي، أطلقت القيادة الروسية، حربًا بالوكالة في شرق أوكرانيا و**دعمت "المتمردين الانفصاليين" عن النظام الأوكراني، في شرق أوكرانيا**[635]. واستولت القوات الموالية لروسيا على المباني الحكومية، **(**في دونيتسك، وخاركيف، ولوهانسك في شرق أوكرانيا،**)** ودعت إلى تنظيم استفتاءات لاستقلال تلك المناطق[636].

وشكّل اعتراف فلاديمير بوتين، باستقلال جمهوريتي "لوغانسك" و "دونيتسك"، سنة 2022، خطوة كبيرة في مسار الحرب الروسية–الأوكرانية؛ فالاعتراف بهما، ثم توقيع اتفاقيتي تعاون وصداقة معهما، يعني عمليًا تقليص المساحة الجغرافيا لأوكرانيا؛ وبعد توقيع الاتفاقيتين وجه الرئيس الروسي بتنفيذ ما وصفه بعملية لحفظ السلام في"لوغانسك ودونيتسك" سنة 2022، وإزاء ما تعتبره روسيا، **تهديداً لأمنها الاستراتيجي**. ووصف بوتين التدخل العسكري في أوكرانيا، بالعملية العسكرية الخاصة، واعتبرها معركة من أجل **مستقبل النظام العالمي**[637]".

---

633 Paul D'Anieri, Ukraine and Russia, From Civilized Divorce to Uncivil War, University of California, Op.cite., p. 1.

634 Janne Haaland Matlary & Tormod Heier, Ukraine and beyond Russia's Strategic Security Challenge to Europe, Op.cite., p. 210.

635 Robert P. Hager Jr"Russia's Imperial Ambitions, Ukraine, and the West, Democracy and Security", (2019), 293-300.

636بعد هذه الأزمة، قامت القوات الأوكرانية باستعادة السيطرة على خاركيف في اليوم الموالي، ولكن مجهوداتها لاستعادة المناطق الأخرى (دونيتسك، ولوهانسك) قادت إلى حرب بين أوكرانيا وروسيا، احتدمت حتى فبراير 2015، وهدأت بشكل جزئي. وبحلول سنة 2019، قتل أكثر من عشرة آلاف شخص.

637. فيصل شلال، الحرب الروسية-الأوكرانية وتأثيرها في مستقبل النظام الدولي، المجلة السياسية الدولية، العدد 54، بغداد، (2023)، ص 192.

نخلص مما سبق، بأن الأزمة الأوكرانية–الروسية لها امتدادات تاريخية، وقد اتسم الصراع في بدايته، بمحاولة روسيا والغرب التأثير في الانتخابات الأوكرانية وفي توجهات السلطة السياسية، وانتهى باستخدام روسيا للقوة العسكرية لمنع تحويل أوكرانيا، إلى منطقة تابعة لحلف الأطلسي، وهو ما يعني في المنظور الاستراتيجي الروسي تعزيز النفوذ الغربي على النظام الدولي.

وبعد رصد بعض الجوانب التاريخية للأزمة الأوكرانية–الروسية، سنحاول في الفقرة المقبلة، كشف الأسباب التي ساهمت في ظهور الحرب الأوكرانية الروسية من منظور الواقعية الجديدة.

الفقرة الثانية: توسع الناتو والصراع من أجل القوة والهيمنة

تستهدف هذه الفقرة تفسير الأزمة الأوكرانية–الروسية من المنظور الواقعي الجديد. فالحرب من هذا المنظور هي نتيجة طبيعية للتنافس بين الدول على الهيمنة ومراكز القوة في النظام الدولي الفوضوي؛ ويتجلى هذا الأمر في التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا **لمنع تمدد حلف الأطلسي على الحدود الروسية**، الذي سيؤدي، في منظور القيادة الروسية، إلى تعزيز الهيمنة الغربية على النظام الدولي، وبالتالي إلى تحويل روسيا إلى دولة ضعيفة. وإذا كان هذا المبرر يأخذ طابعًا دفاعيًا، فإن التدخل الروسي في أوكرانيا له أسباب متعلقة أيضًا بالطموح الروسي لتغيير النظام الدولي وتعزيز مكانة روسيا في المنظومة الدولية. وسنحاول في هذه الفقرة رصد دور هذه المتغيرات (توسع الناتو، تعزيز النفوذ والقوة) في تطور الأزمة الأوكرانية الروسية، التي يحاول الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ولايته الرئاسية الثانية، الحد من تداعياتها السياسية والأمنية والاقتصادية، ولعب دور الحكم بين القيادتين الروسية والأوكرانية، على الرغم من المعارضة الأوروبية لعقد صفقة لا تلبي المصالح الأوكرانية ولا تخدم الأمن القومي الأوروبي.

أولًا: توسع الناتو

فسر جون ميرشايمر، أحد أبرز منظري الواقعية الهجومية في الوقت الراهن، تصرفات روسيا في أوكرانيا، كرد فعل دفاعي من روسيا على السياسات الغربية في المنطقة الشرقية لأوروبا، خاصة **توسع الناتو في وسط وشرق أوروبا**، الذي اعتبره أحد أهم الأسباب الجذرية التي أدت لاندلاع الازمة الأوكرانية [638]. **وأشار ميرشايمر** إلى أن بوتين أوضح بشكل صريح بأن دمج أوكرانيا وجورجيا في الناتو سيُشكل تهديدًا مباشرًا لروسيا، وبأن روسيا لن تسمح بحدوث ذلك. واعتبر بان اجتياح روسيا لجورجيا، هو أحد تجليات هذا القرار الذي صرّح به بوتين[639]. ومن ثم، لام هذا المفكر الواقعي توسع الناتو في شرق أوروبا، وعدم تقديرهم للرد الروسي الذي كان في نظره متوقعاً وواقعيًا.

ومن نافلة القول، بأن روسيا شاهدت بقلق اقتراب حلف الأطلسي بشكل مطرد من حدودها، حيث ضمت البلدان التي اعتقدت بأنها لن تنضم للناتو: كجمهورية المجر، التشيك، هنغاريا وبولندا في سنة 1999، بلغاريا، استونيا، لاتفيا، لتوانيا، رومانيا وتشيكوسلوفاكيا في سنة 2004، وألبانيا في 2009. إن روسيا مثلها مثل معظم القوى الكبرى، تُفكر في السنوات المائة المقبلة، وتفهم بأن كل شيء يمكن أن يحدث خلال هذا الوقت، بما في ذلك انضمام دول أخرى إلى الحلف. إن عقل الإدارة الروسية يركز على هذا الاحتمال، مستفيدة من قراءة الأحداث التاريخية[640]. ومن الناحية النظرية يرى العديد من الباحثين الواقعيين أن كلًا من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي يتصرفان في سياستهما المتعلقة بالفضاء السوفياتي السابق،

638 Robert P. Hager Jr. Russia's Imperial Ambitions, Ukraine, and the West, Democracy and Security, Op.cite., p. 293.
639 Peng Chengyi (2017) Why the Ukraine Crisis Is the West's Fault: A Historical and Philosophical Perspective, Op.cite. p. 269.
640 Tim marshall, Prisoners of Geography Ten maps that tell you everything you need to know about global politics, Op.cite., p. 7.

وفقًا للمبادئ الواقعية، على الرغم من عدم الاعتراف بذلك بشكل مباشر في خطابات قادتهما[641].

ويتساءل الباحث Peng Chengyi عما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ستسمح للقوى المعادية لها بضم الدول التي تشاركها الحدود (كندا والمكسيك) إلى دائرة نفوذها؟، ويزعم بأن روسيا بسبب ضعفها في السنوات الأولى، ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لم تكن قادرة على مقاومة المراحل الأولى من توسع حلف الناتو والاتحاد الأوروبي[642]؛ أما اليوم، فالوضعية تغيرت؛ فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، والخسائر الاقتصادية والعسكرية التي لحقت بالاتحاد، لاحظت روسيا بقلق تمدد الناتو على حدودها، لكنها لم ترد على تمدده بسبب حالة الضعف واختلال موازين القوى بينها وبين الولايات المتحدة. على عكس السياق المعاصر.

وقبل اجتياح أوكرانيا سنة 2022، أكد بوتين عدم السماح لحلف الأطلسي بالتمدد على حدوده وتهديد روسيا الاتحادية مباشرة، لذلك طلب في "**الوثيقة الأمنية**" توقيع اتفاقيتين منفصلتين بين موسكو وواشنطن والناتو، لوضع ضمانات أمنية تهدف إلى خفض التوترات الأمنية في أوروبا، وتخلّي الحلف عن أي نشاط عسكري في جورجيا وأوكرانيا، وعدم انضمامهما للحلف، ووقف نشر أنظمة أسلحة هجومية في الدول المحاذية لروسيا الاتحادية. وقد رفضت واشنطن هذه الأسس، فقررت روسيا اللجوء للعمل العسكري، للضغط على حلف شمال الاطلسي والاتحاد الأوروبي لإعادة هيكلة البنية الأمنية الأوروبية، بما يتناسب ومكانة

641 Maximilian Klotz, Russia and the Ukrainian Crisis: A Multiperspective Analysis of Russian Behaviour, by Taking into Account NATO's and the EU's Enlargement, Op.cite., p. 590.

642 Peng Chengyi (2017) "Why the Ukraine Crisis Is the West's Fault: A Historical and Philosophical Perspective", International Critical Thought ,Op.cite., p. 269.

روسيا الاتحادية[643]. وكما نلاحظ، فالمخاوف الأمنية الروسية كانت أحد المحددات الأساسية في لجوء روسيا لاستخدام القوة العسكرية، ولاسيما التخوف من توسع حلف الأطلسي.

وإذا كان توسع الناتو قرب الحدود الروسية، أحد أهم أسباب التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا، الذي استهدف وقف هذا التمدد، فإن الرغبة في تعزيز القوة والنفوذ، وكسر الهيمنة الغربية على العالم، هي أحد المتغيرات الضمنية الأخرى التي أدّت إلى لجوء الإدارة الروسية للقوة العسكرية لتحقيق أهدافها السياسية والاستراتيجية.

ثانيا: تعزيز النفوذ والرغبة في الهيمنة

أولى كبار المفكرين في الجغرافيا السياسية أهمية كبيرة لأوكرانيا، كدولة سوفياتية سابقة، ويعد القول الشهير لزيغنيو بريجينسكي Zbigniew Brzezinski، مثالًا بارزًا على ذلك. حيث أبرز فكرته التالية: "**بدون أوكرانيا، يتوقف طموح روسيا لتكون إمبراطورية، ولكن بخضوع أوكرانيا، ستصبح روسيا إمبراطورية بشكل تلقائي**"[644]. ونتيجة لذلك، تنظر الإدارة الروسية لأوكرانيا كجزء من أمنها القومي وكمجال يعزز قوتها العسكرية. وقد تزايد اتسام السياسة الخارجية الروسية تحت حكم الرئيس بوتين بنزعة إعادة التوازن؛ أي **الرغبة في استعادة السيطرة**– أو على الأقل الهيمنة– على ما فقدته من أراضٍ؛ فقد استند بوتين في اعتلائه سُدة الحكم في روسيا– إلى حدٍّ ما– على وعده باستخدام القوة العسكرية الروسية لمنع الشيشان من الانفصال عن الاتحاد الروسي[645]. وتعتبر روسيا أن أوكرانيا تاريخيًا نقطة ضعف كبيرة بالنسبة لها، وتعتقد بأن بقاء هذه المنطقة بعيدة عنها سيجعلها في **تهديد دائم**، وفي المقابل يرى الغرب أن أوكرانيا وأوروبا الشرقية عموماً حائط صد أمام الروس لمنعهم من

[643]فيصل شلال عباس المهداوي، الحرب الروسية-الأوكرانية وتأثيرها في مستقبل النظام الدولي، مرجع سابق، ص 190.

[644] Maximilian Klotz, "Russia and the Ukrainian Crisis: A Multiperspective Analysis of Russian Behaviour, by Taking into Account NATO's and the EU's Enlargement," – Op.cite, p. 259-287.

[645]بول ويلكسين، مقدمة قصيرة جدًا في العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص 31.

العودة كقوة عظمى من جديد، وبالتالي، يحاولون عزل أوكرانيا سياسيًا واقتصاديًا عن روسيا الاتحادية[646].

إن التدخل الروسي في أوكرانيا، يمكن تفسيره برغبة القيادة السياسية الروسية في كسر الهيمنة الغربية على النظام العالمي، الذي تشكلت أسسه ما بعد الحرب العالمية الثانية وتعززت بعد انهيار جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفياتي؛ حيث صرح بوتين في خطاب موجه إلى الأمة الروسية سنة 2005، أن انهيار الاتحاد السوفياتي، قد شكل أكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين، حيث لطالما انتقد الرئيس السابق للاتحاد السوفياتي ميخائيل غورباتشوف، بسبب تقويضه لأمن روسيا[647].

يمكن النظر إلى الأزمة الأوكرانية، حسب ولسون، باعتبارها تطرح أربع مخاوف لروسيا: إنها تقيد اختيارات السياسات الخارجية لروسيا:

- تهدد أمن وسيادة الدولة؛
- تطرح تحديات على النظام ما بعد السوفياتي بأكمله؛
- تشجع على نمو القوميين الأوكرانيين؛
- تهدد الاستقرار الداخلي لروسيا[648] .

ويعتبر **ميرشايمر** أن الدول في أغلب الأحيان تكون لديها نوايا تغييرية (تسعى إلى تغيير النظام الدولي)، ويمكنهم أن يستخدموا القوة لتغيير موازين القوى إذا اعتقدوا أن ذلك يمكن أن يتم بثمن معقول. وفي بعض الأحيان، تكون التكاليف والمخاطر المترتبة على محاولة تغيير ميزان القوى كبيرة للغاية، مما يضطر القوى العظمى إلى انتظار ظروف أكثر ملاءمة**[649]**.

---

[646]عصام عبد الشافي، الحرب الروسية-الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي، (مصر: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2022،)، ص 6.

[647] Tim marshall, Prisoners of Geography Ten maps that tell you everything you need to know about global politics, Op.cite., p. 7.

[648] Wilson, A. 2014. "The Ukraine Crisis Brings the Threat of Democracy to Russia's Doorstep." European View 13 (1): p. 67–72.

[649] John J. Mearsheimer, The Tragedy of Gret Power Politics, Op.cite., p. 2.

ويمكن تفسير التدخل الروسي في أوكرانيا كمحاولة سياسية من القيادة الروسية، لكسر الهيمنة الغربية على العالم، وتغيير موازين القوى السائدة، واثبات مكانتها كقوة عظمى مؤثرة في النظام الدولي.

وقد انتقد بوتين في منتدى فالداي الدولي في روسيا، الذي انعقد في نونبر سنة 2024، السعي الغربي للهيمنة على النظام الدولي، مبرزًا بأن النظام العالمي القديم انتهى، وهناك صراع من أجل تشكيل نظام جديد، معلنًا في هذا الصدد كلمته التالية: "**لقد ذهب النظام السابق في العالم بلا رجعة، ويمكن للمرء أن يقول ذلك، لقد ذهب بالفعل. وهناك صراع خطير لا هوادة فيه، صراع من أجل تشكيل نظام جديد**[650]".

نخلص مما سبق، أن محاولة أوكرانيا الانضمام إلى حلف الأطلسي، وموافقة الغرب على هذه الرغبة، كانت من أبرز أسباب لجوء روسيا إلى الحل العسكري في أوكرانيا، لتبديد مخاوفها الأمنية من توسع حلف الأطلسي. خاصة في ظل تصورها لأوكرانيا كمنطقة نفوذ تاريخي. وقد أوصى العديد من المنظرين الواقعيين، وخاصة بريجنسكي (2014)، وكيسنجر (2014)، وميرشايمر (2014) على ضرورة أن تظل أوكرانيا دولة محايدة في علاقتها مع الغرب وروسيا[651]. وبالإضافة إلى هذا المحدد، فتصرف روسيا، يعود أيضًا، إلى شعورها

---

[650] https://arabic.rt.com/russia/1617449-%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%87%D9%89-%D9%87%D9%86%D8%A7%D9%83-%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D8%AC%D9%84-%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A2%D9%86/ تاريخ الزيارة 17-04-2025.

[651] Tom Sauer, "The Origins of the Ukraine Crisis and the Need for Collective Security between Russia and the West", Global Policy Volume 8. Issue1 .February (2017), p 89.

بالحاجة إلى كسر الهيمنة الغربية على العالم، والاستثمار في موقعها كقوة عظمى، تمتلك الأسلحة النووية الرادعة، لتغيير النظام الدولي وخلق واقع دولي جديد.

خاتمة:

من السهل أن تبدأ الحرب، ولكن إنهائها مهمة صعبة. فالحرب معادلة يصعب توقع مآلاتها وتطوراتها. إن الحرب الروسية الأوكرانية، تتطور بشكل يهدد بدخول العالم إلى حرب عالمية جديدة، ستكون آثارها أكثر تدميرًا للعالم، لأن الأسلحة تطورت، وروسيا لا تستطيع مواجهة الغرب بالأسلحة التقليدية وحدها وفي جعبتها أكبر ترسانة نووية في العالم. لقد دخل العالم في مرحلة مرتبكة، وانضم حلفاء جدد لروسيا، (ككوريا الشمالية)، يساعدونها على مواصلة الحرب التي استنزفت مواردها واقتصادها. ونلاحظ بأن المشهد يزداد تعقيدًا مع إصرار الرئيس الأمريكي الجديد على حل الأزمة بالطرق الديبلوماسية، ورفض حلفائها الأوروبيين إخراج بوتين من المأزق. أو إخراجه من الحفرة الأوكرانية، التي لا شك، أنها كلفته الكثير، أكثر مما كان يعتقد في بداية الحرب. وكلفت أوروبا والولايات المتحدة أيضًا الكثير من الموارد العسكرية والاقتصادية التي تُغذي الآلة العسكرية الأوكرانية.

ومن الناحية الواقعية، يمكن أن نتحدث عن أسباب أخرى، تفسر لجوء القيادة الروسية إلى الحل العسكري في أوكرانيا، (تُضاف إلى التخوف الروسي من توسع حلف الأطلسي والرغبة في تعزيز القوة والنفوذ) والمتعلقة بمحدد عدم امتلاك أوكرانيا للحصانة النووية، القادرة على ردع روسيا من انتهاك سيادة أوكرانيا وتقرير مصيرها السياسي مع الغرب. ففي العصر النووي، يُشكل الردع النووي، أداة مناسبة للمحافظة على بقاء الدول ومنع انتهاك سيادتها بالقوة العسكرية.

وأخيرًا، فالأزمة الأوكرانية–الروسية تسير في طريق مسدود، وكلما طالت مدة الحرب، زادت كلفتها البشرية والاقتصادية، ومن المهم أن نستنتج من هذه الحرب، أن القوة، ولاسيما القوة العسكرية في الدرجة الأولى، والاقتصادية في الدرجة الثانية، لا تزال من الموارد الضرورية لتحقيق الأمن والبقاء في نظام دولي فوضوي، يتسم بغياب سلطة فوق الدول، ويتسم بهشاشة

القواعد والقوانين الدولية، وبازدواجية المعايير الدولية في تدبير الأزمات وتفسير الأحداث الدولية. فالأمن والبقاء رهين بالتوفر على أدوات القوة، وليس الاعتقاد الأعمى بدور المؤسسات الدولية والقوانين الدولية في منع الاعتداءات الخارجية التي تهدد بقاء وأمن الدول.

لائحة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

الكتب:

استيفانى لوسن، العلاقات الدولية، ترجمة عبد الحكم احمد الخزامى، ترجمة عبد الحكم احمد الخزامى، (مصر: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2014)،

بول ويلكسين، مقدمة قصيرة جدًا في العلاقات الدولية، ترجمة لبنى عماد تركي ط1، (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013).

جهاد عودة، النظام الدولي... نظريات وإشكاليات، ط1، (مصر: دار الهدى للنشر والتوزيع، 2005).

عادل عنتر، مداخل دراسة وتحليل بنية النسق الدولي: دراسة تحليلية تقويمية، (الإسكندرية، 2018).

عصام عبد الشافي، الحرب الروسية–الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي، (مصر: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2022،).

محمد بن نويمي، علم العلاقات الدولية، ط2، (قطر، إدارة الإصدارات والترجمة، قطر، 2024).

ناصيف يوسف حتى، النظرية في العلاقات الدولية، ط1، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1985).

المجلات:

أحمد قاسم حسين، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع. ط1، ترجمة ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 20 (ماي، 2016).

أحمد قاسم أمين، لم نعد وحدنا في العالم: "النظام الدولي من منظور مغاير، مجلة سياسات عربية، العدد 24، (مارس 2017).

حمزة المصطفى، هل العلاقات الدولية علم قائم بذاته؟ دراسة مقارنة في أطروجات الفصل/ الارتباط بين العلاقات الدولية وعلم السياسة، سياسات عربية، العدد 25 (مارس 2017).

فيصل شلال، الحرب الروسية–الأوكرانية وتأثيرها في مستقبل النظام الدولي، المجلة السياسية الدولية، العدد 54، بغداد، (2023).

المراجع باللغة الانجليزية

Books

Andrew K. Hanami, Perspectives on Structural Realism, (USA : palgrave macmillan, 2003).

Hans J. Morgenthau, Politics among Nations, The struggle for power and peace, (New York: Alfred, A, Knopf, 1948.).

Janne Haaland Matlary & Tormod Heier, Ukraine and beyond Russia's Strategic Security Challenge to Europe, (Norway : Palgrave macmilla, , 2016).

PAUL R. VIOTTI, MARK V. KAUPPI, International Relations and World Politics, Fifth Edition, (USA : Pearson Education, 2013).

Paul R. Viotti & Mark V. Kauppi, International Relations Theory Realism, Pluralism, Globalism, and Beyond, A Viacom Company, (USA, Library of Congress, 1999).

Paul D'Anieri, Ukraine and Russia, From Civilized Divorce to Uncivil War, (United Kingdom, Cambridge Unversity Press, 2019,).

Kenneth N. Waltz, Theory of International Politics, (USA : Publising Company, 1079).

Siegfried Schieder and Manuela Spindler, Theories of International Relations, (London : Routledge Taylor & Francis Group, 2014).

Articles :

Maximilian Klotz, Russia and the Ukrainian Crisis: A Multiperspective Analysis of Russian Behaviour, by Taking into Account NATO's and the EU's Enlargement, Croatian International Relations Review – CIRR XXIII (80) (2017).

Peng Chengyi Why the Ukraine Crisis Is the West's Fault: A Historical and Philosophical Perspective, International Critical Thought, (2017).

Keith Topper, The Theory of International Politics? An Analysis of Neorealist Theory, Human Studies, Vol. 21, No. 2 (Apr., 1998).

Robert P. Hager Jr. Russia's Imperial Ambitions, Ukraine, and the West, Democracy and Security. (2019) .

Stephen M Walt, US grand strategy after the Cold War: Can realism explain it? Should realism guide it?, Sage International Relation Publishing, , USA, Vol. 23 (1),(2018).

Tom Sauer, The Origins of the Ukraine Crisis and the Need for Collective Security between Russia and the West, Global Policy Volume 8. Issue1 .February (2017).

Wilson, A. . "The Ukraine Crisis Brings the Threat of Democracy to Russia's Doorstep." European View 13. (2014).